



شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK
www.iraqieconomists.net

المكتبة الاقتصادية

مراجعة كتاب صعود وسقوط الأمة البريطانية: تأريخ القرن العشرين

المؤلف: ديفيد أديجرتون*

المراجع: البروفيسور سكوت نيوتن، جامعة كارديف**

الترجمة: مصباح كمال***

Book:

The Rise and Fall of the British Nation: a Twentieth Century History

David Edgerton

London, Allen Lane, 2018, ISBN: 9781846147753; 720pp.; Price: £30.00

Reviewer:

Professor Scott Newton

Cardiff University

Citation:

Professor Scott Newton, review of *The Rise and Fall of the British Nation: a Twentieth Century History*, (review no. 2307)¹

Date accessed: 16 February, 2019

ألف ديفيد إيدجرتون منذ ما يقرب من 30 عاماً سلسلة من الدراسات القائمة على البحث العميق والريادة في مجال إعادة النظر بتاريخ بريطانيا في الماضي القريب، والتي كشفت عن النقائص ونقاط الضعف في أطروحة "الانحطاط" 'declinism' كتفسير للتجربة الداخلية والدولية المتغيرة في بريطانيا منذ عام

¹يمكن قراءة النص الإنجليزي للمراجعة باستخدام هذا الرابط:

https://www.history.ac.uk/reviews/review/2307?utm_source=Reviews+in+History&utm_campaign=92a9c15585-EMAIL_CAMPAIGN_2017_02_23_COPY_01&utm_medium=email&utm_term=0_f24f670b90-92a9c15585-516739565



شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK
www.iraqieconomists.net

المكتبة الاقتصادية

1900. ففي كتابيه **إنجلترا والطائرة (1991 و 2013)** و **دولة الحرب: بريطانيا، 1920-1970 (2005)**، أظهر بشكل مقنع كيف ولماذا بقيت الأمة قوة كبرى تمتلك مجمعها العسكري-الصناعي الهائل خلال الجزء الأكثر من القرن الماضي.

يتناول كتاب **صعود وسقوط الأمة البريطانية** هذه الحجج ولكنه يتجاوزها، وصولاً إلى التاريخ الاجتماعي والثقافي والعسكري والسياسي والاقتصادي والتكنولوجي. إذ يسعى إيدجيرتون إلى شرح كيف تم بناء أمة بريطانية بعد عام 1945، والتي نشأت من الإمبراطورية البريطانية واقتصاد التجارة الحرة العالمي الذي تم بناؤه خلال القرن التاسع عشر. على النقيض من ذلك، رفضت الأمة البريطانية الإمبريالية والكوسموبوليتية. ومثل معظم جيرانها الأوروبيين في نفس الوقت، تبنت بريطانيا ما بعد عام 1945 الحماية الصناعية، وشجعت على الاكتفاء الزراعي الذاتي، وعززت النمو والتحديث من خلال نموذج الدولة التنموية *developmental state*. فقد قامت ببناء خدمة صحية وطنية وأدارت صناعات "مؤممة" مثل السكك الحديدية البريطانية *British Rail* أو صناعة الفولاذ البريطانية *British Steel* وكانت المناجم مملوكة ملكية عامة ومدارة من قبل مجلس الفحم الوطني *National Coal Board*. ومنذ أوائل الستينيات، كانت هذه الدولة ما بعد الإمبراطورية، التي كانت مهتمة في البداية بحماية مصالحها في العالم من خلال جيش كبير وقوي، مزودة بطائرات حديثة ورادع نووي مستقل، قد قامت بتخفيض ميزانية الدفاع وزيادة الاستثمار في الرفاه والتعليم. وبحلول سبعينيات القرن العشرين، أصبحت دولة ديمقراطية اجتماعية.

إلا أن هذه الأمة البريطانية تحديداً قد دمرتها التاتشرية *Thatcherism* بعد عام 1979. لقد ربطت النظرية التاتشرية نفسها بالعديد من المراثي حول بريطانيا ما بعد الحرب، والكثير منها كتبه مفكرون وصحافيون وسياسيون مؤثرون قالوا إن البلد يفقد قوته ونفوذه في العالم بفضل النمو البطيء، والعلاقة غير المستقرة مع التكنولوجيا الحديثة، وعدم الثقة بالعلماء والخبراء، وقطاع صناعي يعاني من نقص الاستثمار والممارسات التي عفا عليها الزمن. وقد جاءت هذه الانتقادات من كلا جانبي الطيف السياسي. فالمناصرين لـ *Tony Benn* [بين *Bennites*] (وهم يُشخصون هنا ليس كاشتراكيين ولكن كـ



شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK
www.iraqieconomists.net

المكتبة الاقتصادية

"قوميين يساريين"، والديمقراطيون الاجتماعيون والاشتراكيون جادلوا لصالح أشكال مختلفة من دولة أكثر تدخلاً *dirigiste State* لتقوم بدور استراتيجي في تحديث الصناعة. من ناحية أخرى، صدرت دعوات من اليمين لتقديم جرعة كبيرة من عقار السوق الحرة وفتح الاقتصاد أمام قوى المنافسة الدولية، وتقليص جذري للدعم الحكومي وملكية الصناعة وتقييد قوة النقابات بقوة العقوبات القانونية.

يشير إيجيرتون بحق إلى أن هذه الانتقادات تستند إلى سلسلة من الافتراضات الخاطئة. في سلسلة مؤثرة ومثيرة للإعجاب من الفصول الموثقة والموثوقة، يبين أن بريطانيا قد تطورت في العقود التي أعقبت عام 1945: فقد كان لديها قطاع زراعي بإنتاجية عالية، وشبكة طرق جديدة (نظام الطرق السريعة، تم تشييد معظمها ما بين 1958 و 1988)، ونظام فعال لتوليد الطاقة وتوزيعها يعتمد في الأساس على موارده من الفحم ولكن بشكل متزايد أيضاً على صناعات الطاقة النووية والغاز المملوكة للدولة، وقطاع التكنولوجيا العالية الناجح حيث كانت الحوسبة والفضاء ناجحين بشكل خاص في الداخل وفي المنافسة في الخارج. ولعب العلماء والخبراء أدواراً رئيسية في تطوير العمليات الصناعية الجديدة وتشغيل الصناعات التقنية المتقدمة مثل هيئة الطاقة الذرية. وتم بناء ما بين 300,000 و 400,000 دار سكن كل عام في الفترة الممتدة من الخمسينيات حتى السبعينيات. ومنذ أوائل الستينيات كان هناك وعلى نطاق واسع استثمار كبير في المدارس والجامعات والمستشفيات. وكان معدل نمو الأمة مرتفعاً بمعايير تاريخها الخاص، وكان هناك توظيف كامل وهبوط في عدم المساواة. وارتفعت مستويات المعيشة، لا سيما تلك الخاصة بالطبقة العاملة والطبقة المتوسطة.

ومع ذلك، ساد النقد التاتشري وتم تفكيك الأمة البريطانية الناجحة إلى حد ما في العقود التي تلت عام 1979. أصبح هذا النقد مُدولاً *internationalized* بشكل متزايد. في أوائل القرن الواحد والعشرين، كانت بريطانيا مجتمعاً عالمياً حراً يتمتع بالسوق الحرة ويتميز بتزايد عدم المساواة. فقد تم بيع شركاتها الوطنية الرائدة وصناعاتها المملوكة ملكية عامة، إلى جانب بيع جزء كبير من دور السكن المملوكة ملكية عامة، وغالباً ما انتهت ملكياتها لملاك أجنبي؛ ووقعت بورصة لندن بعد عام 1986 تحت سيطرة الشركات الأجنبية، والعديد



شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK
www.iraqieconomists.net

المكتبة الاقتصادية

منها في الولايات المتحدة الأمريكية؛ وارتفعت معدلات البطالة إلى مستويات كانت تعتبر في فترة ما بعد الحرب المبكرة بمثابة فضيحة حيث سمح لأجزاء كبيرة من الصناعات البريطانية بالانهيار؛ وتآكلت حقوق العمال أو دمرت باسم القدرة التنافسية؛ وتم تسليم أجزاء مهمة من نظام الرعاية الصحية والاجتماعية إلى "مقدمي الخدمات" الموجودين في الخارج؛ وأصبحت الجامعات "شركات كبيرة ومحافظ عقارية"؛ وحتى الرياضة تأثرت، حيث تم الاستيلاء على أندية كرة القدم الرائدة من قبل أصحاب الملايين الأجانب، وبعضها تحول إلى علامات تجارية عالمية.

لقد استهدفت مارغريت ثاتشر عكس اتجاه الانحطاط، الخرافي، لبريطانيا من خلال تحفيز طاقات ريادة الأعمال لدى الشعب. لم يجد إيدجرتون دليلاً يُذكر على نجاحها، مشيراً إلى عدد من الأمثلة، رينشارد برانسون (الذي أصبح "علامة تجارية" لكنه لم يعد يملك العديد من الشركات التي تستخدم اسمه)؛ السير جيمس دايسون، الذي نقل أعماله التصنيعية من مدينة مالمسبوري Malmesbury إلى ماليزيا وسنغافورة (مع الاحتفاظ فقط بمنشأة البحث والتطوير التابع للشركة في بريطانيا)؛ والسير ألن شوغر، الذي كان في الماضي يدير شركة مهمة في صناعة الكومبيوتر في المملكة المتحدة، لكنه صار الآن يدير ما هو أساساً محفظة عقارية واسعة النطاق (وإضافة لذلك، تقديمه لبرنامج تلفزيوني هو محاكاة ذاتية ساخرة أكثر منه دليلاً ترفيهياً لدور الابتكار والإدارة في الأعمال التجارية الذي يدعيه البرنامج). لقد كان متوسط النمو السنوي أقل من المستوى المحقق بين عامي 1945 و 1979.

على الرغم من هذا السجل غير المثير، لم يقدم حزب العمال أي تحدٍ لبريطانيا الجديدة ما بعد القومية post-national. وعندما عاد إلى السلطة باسم "حزب العمال الجديد" في عام 1997، بعد 18 عاماً في المعارضة، لم يحاول تغيير الأساسيات التي وضعتها ثاتشر لبريطانيا. وبالفعل، استند إلى إرثها واستمر في تعزيز دور هام للقطاع الخاص في تقديم الخدمات العامة، حتى عندما أثبتت هذه الصفة، كما هو الحال مع مبادرة التمويل الخاص Private Finance Initiative، أنها صفقة سيئة للغاية بالنسبة لدافعي الضرائب. لقد كانت إستراتيجيته الاقتصادية تدور حول الأوهام مثل "بريطانيا المتفائلة" و "اقتصاد المعرفة". لقد واصل بلير سياسة ثاتشر للتحالف الأطلسي القوي [مع الولايات



شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK
www.iraqieconomists.net

المكتبة الاقتصادية

المتحدة] وكان مشاركاً راغباً ومشجعاً على حرب العراق المأساوية التي قام بها جورج دبليو بوش. لقد كان الانشغال الأساسي هو الحفاظ على السلطة لحزب العمال الجديد؛ وتخلي الحزب، في مظهره الجديد، عن تقاليده في انتقاد الرأسمالية واحتضن النظام [الرأسمالي]. اختفت فكرة المعارضة ذاتها من السياسة البريطانية، حيث كان ينظر إلى الإدارة الأفضل للنظام القائم على أنها الطريق إلى النجاح. يختتم إدجرتون دراسته من خلال لقطة لبريطانيا عند موت ثاتشر في عام 2013: "السيدة الحديدية" تُشيع بما يشبه "جنازة رسمية"، مصحوبة بعربة مدفع وموكب وأوسمة عسكرية. أثناء هذه المراسيم، احتفل عمال المناجم السابقون المنسيون بمرارة" في "قرى مناجم الفحم القديمة المنكوبة" في إنجلترا واسكتلندا وويلز. في هذا الوقت، كان توني بليير يكسب المال "مُسدياً الخدمات لبعض الجلادين والديكتاتوريين الأكثر شناعةً على وجه الأرض." يختتم إدجرتون كتابه بملاحظة حزينة مفادها أن "الكتاب المتكلمون فقط يمكنهم إعادة رسم هذا التحول في الأحداث."

هذا الكتاب هو، عموماً، كتاب جيد جداً. حجته، مدعومة جيداً بمجموعة واسعة من المصادر والكثير من المعرفة، ويقدم تفسيراً جديداً ومقنعاً للتاريخ البريطاني منذ عام 1900. كما أن سرده لتحديث بريطانيا في فترة ما بعد الحرب [العالمية الثانية]، ومناقشة الدور المركزي للمثقفين الذي غالباً ما يتم تجاهله، وكيف أن الثاتشرية فككت ومن ثم قامت بتحويل ما كان أمة ديمقراطية اجتماعية مميزة، والمناقشة الختامية لحزب العمال الجديد – كل ذلك هي نقاط قوة خاصة للكتاب. إنه كتاب مكتوب بمعرفة، وفي بعض الأحيان، بشحنة عاطفية؛ ومفعم بالإنسانية.

هناك، على أية حال، بعض الأمور التي فلتت من فهم إدجرتون لها. أولاً، في مناقشته لبريطانيا كقوة إمبريالية، انتقد عمل بيتر قاين وتوني هوبكنز لتجاوزهما "دور التمويل الصافي"، قائلاً بأن المصالح البريطانية في الخارج كانت "تجارية وصناعية" وكذلك مالية وريعية [1]. وأن "السياتي" 'The City'، كما يقول، "كانت تتعلق بالسلع بقدر تعلقها بالمال." إن هذا الموقف ما هو إلا هجوم على فزاعة قش [واقع ضعيف متخيل]. إذ يرى قاين وهوبكنز أن اللوبي في الخارج كان معقداً، يتألف من مصالح اقتصادية لم تكن جميعها تضم رجال المال. فقد كان العديد من هذه المصالح تضم مالكي شركات النقل البحري



شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK
www.iraqieconomists.net

المكتبة الاقتصادية

والشركات التي تبني خطوط السكك الحديدية والموانئ والطرق. كان هناك مصدرّون للنترات الشيلية، ومزارعون للشاي في الهند، وأصحاب مزارع البن البرازيلية، ومزارعو لحم البقر الأرجنتيني والحبوب، على سبيل المثال. إن ما كان يربط كل هذه المصالح معاً هو ارتباطها بالسيتي: البنوك والممولين في لندن كانوا يوفرون التأمين والاعتمادات للتجارة والموارد الهائلة من رأس المال التي سمحت لبريطانيا بجر منطقة تلو الأخرى من الكرة الأرضية إلى السوق العالمية. لقد كانت بريطانيا نفسها اقتصاداً بتوجه نحو الخارج، وحسب عبارة ج. أ. هوبسون، كان التمويل هو "الحاكم ... للمحرك الإمبراطوري" ولكنه لم يكن المحرك نفسه، وهذا هو التمييز الذي يفهمه قايين وهوبكنز.

ثانياً، على الرغم من أن إيدجرتون مُحقّق في التشديد على الاستمرارية بين الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين فيما يخص سياسة الرفاه، إلا أنه يُقلّل من الفروق بين الحقتين. كان أحد التغييرات الكبيرة في الأربعينيات هو أن كل شخص كان بإمكانه أن يراجع الطبيب وأن يُوصَفَ له الدواء دون أن يضطر إلى الدفع: خدمة "مجانية وقت الحاجة" إلى الخدمة وكان ذلك تحسناً كبيراً للكثيرين، وخاصة النساء اللواتي لم يُغَطَّهن برامج التأمين قبل الحرب. وكان التغيير الآخر هو إزالة القسوة الحقيرة المهينة المتمثلة في اختبار التحري عن الوضع المالي لطالب الخدمة، الذي قوبل بارتياح من قبل العديد من عائلات الطبقة العاملة الذين عانوا من هذا الاختبار قبل الحرب (مثل حال عائلتي كمثال على ذلك).

ثالثاً، يصف إيدجرتون بريطانيا ما بعد الحرب بأنها قومية وديمقراطية اجتماعية اقتصادياً. لكن الديمقراطية الاجتماعية كانت، بطبيعتها، في الواقع قومية منذ البداية. فقد نشأت من حاجة الأحزاب البرلمانية الاشتراكية للفوز بالانتخابات. للقيام بذلك، كانت بحاجة إلى أن تكون مسؤولة أمام الناخبين على المستوى الوطني، وقبل كل شيء، لمجتمعات الطبقة العاملة التي كانت مصالحها وراء تأسيس هذه الأحزاب لتمثيلها والدفاع عنها في تسعينيات القرن التاسع عشر. ففي جميع البلدان التي كانت فيها هذه الحركات قوية، فإنها قامت عملياً ببناء تحالفات مع مجموعات مهنية من الطبقة المتوسطة المتعاطفة مع الإصلاح الاجتماعي وإعادة توزيع الثروة بعيداً عن ملاك الأراضي، والصناعيين، ورجال المال. ونتيجة لذلك، قامت أحزاب يسار-الوسط في مختلف أنحاء



شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK
www.iraqieconomists.net

المكتبة الاقتصادية

أوروبا الغربية (بما في ذلك، المملكة المتحدة بالطبع) بتطوير برامج سياسية تهدف، وبنجاح (بعد عام 1945 على وجه الخصوص) إلى تقديم نماذج مختلفة لدولة الرفاه، والتوظيف الكامل والملكية العامة للصناعات الكبرى والبنوك. لقد قادت الحاجة إلى الحيلولة دون تعطيل هذا النظام الاجتماعي الجديد من قوى السوق، وتعزيز تحديث القطاعات الاقتصادية الرئيسية والحفاظ على الوظائف في الوقت نفسه، قادت الحكومات إلى اتخاذ تدابير حمائية - تحديد حصص الاستيراد، والتعريفات، والاستثمار في التكنولوجيا الجديدة، وفي الشركات التي تعتبر في طليعة التنمية. وكان يُنظر إلى كل هذا على أنه ضروري للحفاظ على النمو الاقتصادي الوطني وخلق الثروة التي يمكن للأحزاب الاشتراكية والديمقراطية الاجتماعية أن تعيد توزيعها على المصالح التي كانت وراء تأسيسها والتي استمرت في تمويلها ودعمها [2].

ومع ذلك، لم تكن السياسة تتعلق فقط بكسب الأصوات: فقد كان الأمر يتعلق أيضاً ببناء مجتمع أكثر عدلاً، ونظاماً اجتماعياً واقتصادياً أكثر عدالة، "أورشليم الجديدة" كما كانت تسمى أحياناً. مَنْ غير الدولة القومية تملك القوة والموارد والمؤسسات السياسية القادرة على بناء هذا العالم الجديد؟ على الرغم من العمل الرائد الذي قام به آلان ميلوارد Alan Milward في سلسلة من النصوص الأساسية على مدى عقدين من الزمن [3]، إلا أنه ليس هناك إدراك واسع النطاق أن الجذور المادية للجماعة الاقتصادية الأوروبية كانت تكمن في إصرار الدول القومية nation states الست على خلفها لبناء بيئة اقتصادية خارجية ملائمة لاستمرار النمو والعمالة الكاملة الناتجة عن سياسات إعادة الإعمار التنموية والدولتية dirigiste بعد عام 1945. كانت الطموحات العالية لتحقيق تعاون دولي خطاباً جيداً، لكن إذا كان الدافع إلى التعاون الأوروبي قد استند إلى ذلك وحده، فإن هذا التعاون كان سينهار سريعاً، كما حدث في الفترة بين الحربين. كانت الأمور مختلفة بعد عام 1945 لأن الديمقراطيات الغربية شهدت تحولاً حاسماً في ميزان القوى الاجتماعية لصالح الطبقة العاملة والمؤسسات الممثلة لها - النقابات العمالية والأحزاب السياسية الملتزمة بالبرامج الديمقراطية الاجتماعية. ولم تكن بريطانيا استثناء لهذه العملية.

وأخيراً، فإن مناقشة مضامين الثاشرية وما حققته ممتازة؛ لكن التفسير الذي يقدمه جواباً على سؤال لماذا قامت هذه الثورة المضادة غير مفصل نوعاً.



المكتبة الاقتصادية

يكتب إدجيرتون عن "ثورة الحكام" ضد نظام ما بعد الحرب ويحدد بدقة شديدة ما كانت هذه الانتفاضة ضده - النقابات القوية، "الدور الكبير للحكومة"، العداء الظاهري للمؤسسات الخاصة، عدد قليل جداً من منتجي الثروة واستنزاف كبير جداً لدفعي الضرائب من قبل المستفيدين من الضمان الاجتماعي، والصناعات المؤممة والشركات الفاشلة. يقول إدجيرتون إنه "في وقت ما في السبعينيات من القرن الماضي، صرخت كتلة كبيرة من الطبقة العليا "لقد طفح الكيل"، وبدأت وبدعم من جزء كبير من الطبقة الوسطى بتفكيك النظام الديمقراطي الاجتماعي، واستبداله بنظام يقوم على أساس مبادئ السوق الحرة. لا يمكن إنكار هذا إلى هذا الحد أو ذلك، ولكن هل هو تفسير كافٍ. إذ بعد كل هذا، وكما يشير إدجيرتون، فإن معظم أهداف "ثورة الحكام" لم توجد إلا في التصورات المحمومة للثائرين. فقد كانت بريطانيا في أواخر سبعينيات القرن الماضي بلداً تتراجع فيه معدلات البطالة والتضخم، وكان هناك فائض في الميزان الخارجي، والاقتصاد ينمو بمعدل محترم للغاية، ومستويات المعيشة في ارتفاع.

ما الذي يفسر "ثورة الحكام" هذه؟ نحتاج إلى استحضار مصطلح يكرهه إدجيرتون (كالعديد، كما أظن، من المؤرخين البريطانيين المعاصرين): النيوليبرالية Neoliberalism [الليبرالية الجديدة]. هذا المفهوم لا يحظى بشعبية، ربما لأنه لا يمكن اختباره تجريبياً وإثباته؛ وربما لتداوله بشكل عابر: هل هو وصف لـ "نظرية أو مجموعة أفكار، أو إستراتيجية سياسية أو فترة تاريخية؟" [4]. هناك إجابة على هذا السؤال، تعريفٌ للمصطلح يقدم لنا أداة تحليلية تساعد على فهم ما حدث. النيوليبرالية هو مشروع سياسي تقوم به الطبقة الرأسمالية [المنتظمة] في الشركات، التي شعرت بتهديد شديد سياسي واقتصادي في نهاية الستينيات حتى السبعينيات. لقد أراد أفراد هذه الطبقة وبإصرار إطلاق مشروع سياسي من شأنه أن يحد من قوة العمال [5]. وفعلاً قاموا بذلك استجابة لسلسلة من التهديدات المتصورة للرأسمالية التي لوحظت في جميع أنحاء العالم، وليس فقط في المملكة المتحدة: النضال المتشدد للطبقة العاملة، الأحزاب اليسارية القوية في أوروبا الغربية وأجزاء من أمريكا اللاتينية، والحكومات الثورية التي تتولى السلطة في المستعمرات السابقة مثل موزامبيق وأنغولا.



شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK
www.iraqieconomists.net

المكتبة الاقتصادية

كانت التاشيرية² تحتل موقعاً مركزياً في هذا المشروع، تهدف إلى جعل رأسمالية السوق الحرة هي الشكل المهيمن للنظام. فقد اعتبر التاشيريون نظام ما بعد عام 1945، الذي أطلق عليه اسم "رأسمالية الرفاه" في كثير من دول العالم المتقدم، كحصان طروادة اشتراكي. من المثير للاهتمام، أن هناك أوجه تشابه مع ماركس هنا. فقد أشار في 1870 و 1880 في المجلد الثالث من رأس المال أن الرأسمالية قد بدأت تتطور إلى نظام "الإنتاج المتحد" 'associated production' بفضل تركُّز الائتمان centralisation of credit وصعود الشركات المساهمة، التي يسيطر عليها المدراء والعمال والتي ستحل محل تلك التي يديرها مالكيها الذين تحولوا الآن إلى مساهمين غير نشطين. إذن ستكون هناك إمكانية للانتقال إلى الإنتاج على أساس تعاوني تدريجياً ليصبح معمماً في جميع الاقتصاد العالمي [6].

قد يكون ماركس مستبقاً لزمانه قليلاً، لكن العملية كانت واضحة جداً في ثلاثينيات وأربعينيات القرن الماضي. بالنسبة لكثير من اليساريين في العالم المتقدم بعد منتصف الخمسينيات، أصبحت [هذه الأطروحة] مفتاحاً لبناء اشتراكية تحريفية. فقد ساد الاعتقاد أن الاستبدال الكامل للملكية الخاصة لوسائل الإنتاج عن طريق الملكية العامة، وهو طموح طويل الأمد للأحزاب الاشتراكية، لم يعد ضرورياً الآن. ويمكن تحقيق الهدف التقليدي المتمثل في تحقيق مزيد من

² في العام 1947 ساهم الاقتصادي والفيلسوف الإنجليزي-النمسوي فريدريك هايك (1889-1992) بالتعاون مع ملتون فريدمان (1912-2006) في تأسيس جمعية مون بيليران Mont Pelerin Society (سميت الجمعية باسم مجمع صحي في سويسرا). كما لعب دوراً مهماً في تأسيس معهد الشؤون الاقتصادية Institute of Economic Affairs (عمل الجمعية والمعهد ما زال مستمراً) لدعم مبادئ السوق الحرة والخصخصة وإدخال السوق في جميع مفاصل الحياة الاجتماعية بما فيها تسليع الخدمات الاجتماعية، في مواجهة الفكر الاشتراكي. قام المعهد بترتيب لقاء بين هايك ومارغريت تاتشر بعد أن صارت زعيمة حزب المحافظين سنة 1975. وقد أقرت أن فكر هايك كان له تأثير حاسم في صوغ سياستها النيوليبرالية.

John Bellamy Foster, "Capitalism Has Failed-What Nest," *Monthly Review*, Vol 70, No 9, February 2019, 1-25.

George Monbiot, "How the neoliberals stitched up the wealth of nations for themselves," *The Guardian*, 28 August 2007.
<https://www.theguardian.com/commentisfree/2007/aug/28/comment.businesscomment>

(المترجم)



المكتبة الاقتصادية

المساواة الاجتماعية من خلال الاقتصادات المختلطة، والضرائب التصاعدية، ومستويات عالية من الإنفاق على الصحة والتعليم والرعاية الاجتماعية، ومن خلال صياغة استراتيجية صناعية واقتصادية عن طريق التعاون بين الدولة والنقابات وأرباب العمل. وبالفعل، كانت هذه هي السياسات التي تروج لها حكومات حزب العمال في المملكة المتحدة والحكومات الاشتراكية والديمقراطية الاجتماعية في جميع أنحاء أوروبا الغربية خلال ستينيات وسبعينيات القرن العشرين. صحيح أنها لم تنطوي على مواجهة مباشرة مع الرأسمالية إلا أنها مع ذلك كانت ما تزال تثير القلق عند اليمين بأن نظام الاقتصاد الحر يواجه الآن أزمة وجودية. كان الشرط الضروري، إن لم يكن الشرط الكافي، للتغلب على هذه الأزمة هو استراتيجية لإضعاف وتقويض العمال المنظمين، الأساس الاجتماعي للييسار. وكانت الثاشرية هي التعبير السياسي لتلك الإستراتيجية والمشروع الذي أطلقه رأس المال للحد من قوة العمال. وهكذا، تمكنا النيوليبرالية من فهم معنى ومركزية الثاشرية، وفي ذات الوقت نضعها في فترة تاريخية محددة، بدأت قبل خمسين سنة وما زالت تكشف عن نفسها.

هذه انتقادات حقيقية للكتاب لكنها لا تنتقص من جودته العالية. لا يوجد أي شك في أن إيدجيرتون قد قدّم خدمة رائعة، ليس فقط للمؤرخين المحترفين العاملين في الأكاديمية، بل لجميع الأشخاص الذين يفكرون في مجال التاريخ بشكل عام ويهتمون بتاريخ بريطانيا على وجه الخصوص. لقد قدّم نصاً قوياً وجذاباً، يتسم أحياناً بالوقور والبراعة. لا يسعنا إلا أن نأمل في أن يكون صعود وسقوط الأمة البريطانية مصدر إلهام للآخرين الذين يحرصون على متابعة الأفكار والإرشادات في كتابه عند دراستهم لتاريخ بريطانيا.

[1] The key text is P. J. Cain and A. G. Hopkins, *British Imperialism, 1688-2015*, 3rd edition (London, 2016).

[2] See for example David Thomson, *Europe Since Napoleon* (London, 1966), pp. 425-7; and Scott Newton, *The Reinvention of Britain: a Political and Economic History* (London, 2017).

[3] For example, A. S. Milward, *The Reconstruction of Western Europe, 1945-51* (London, 1984); and *The European Rescue of the Nation-State*, 2nd edition (London, 2000).



شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK
www.iraqieconomists.net

المكتبة الاقتصادية

[4] 'Neoliberalism is a Political Project', interview with David Harvey, *Jacobin* (23 July 2016) <<https://www.jacobinmag.com/2016/07/david-harvey-neoliberalism-capitalism...> [accessed 2 January 2019].

[5] Harvey's *A Brief History of Neoliberalism*: (Oxford, 2005) is an invaluable introduction to the subject.

[6] Karl Marx, *Capital: Volume III* (London, 1991), ch. 27, pp. 566-74.

February 2019

(*) أستاذ تاريخ العلوم والتكنولوجيا، أستاذ تاريخ بريطانيا الحديث، كينگز كولييدج، لندن King's College, London

(**) أستاذ تاريخ بريطانيا الحديث والتاريخ العالمي (متقاعد)، جامعة كاردف.

(***) كاتب في قضايا التأمين

حقوق النشر محفوظة لشبكة الاقتصاديين العراقيين. يسمح بإعادة النشر بشرط الإشارة إلى المصدر. 2019/2/5

<http://iraqieconomists.net/ar/>